

السعودية أمل القحطاني: التشكيليون العرب ضحايا الوساطة والمحسوبية

وتلفت القحطاني إلى أنها وخلال تواجدها في الولايات المتحدة الأمريكية، تمكنت من المشاركة في معارض عدة بجهد شخصي منها، كما نجحت في أن تكون أعمالها ضمن مقتنيات الكثير من المؤسسات والأفراد هناك، وأنها ترى من خلال تلك التجربة الشخصية، أن الفنانين العرب قادرين على تسويق أعمالهم داخل وخارجها.

وتسرى القحطاني أن من الأشياء المخيبة للآمال في العالم العربي، هو ارتفاع تعداد الأفياء، الذين يقتنون أعمالاً فنية أجنبية بالآلاف الدولارات، ولا يهتمون باقتناء أعمال الفنانين العرب، التي تعد أكثر ثراء وإثارة للدهشة بفضل استلهاها من الطبعة العربية الثرية، والغنية بكل المفردات التشكيلية.

وتكشف عن أن أميركا اشترى لوحة لها بمبلغ 10 آلاف دولار، وهو الأمر الذي لم تجده يحدث من قبل من يهتمون باقتناء الأعمال الفنية ببلادها.

وتضيف أن نسبة الوعي والتعريف بالفنان العربي لا يزال ضعيفا، مشيرة إلى أن الفنان العربي لا يزال يبحث عن قدر فنه ويمنحه قيمته الحقيقية.

**ليس هناك فن نسوي
وأخر ذكوري، المعيار في
الجودة هو امتلاك الفنان
لأدواته الفنية أيًا كان
جنسه**

وحول رؤيتها للمشهد التشكيلي السعودي، تقول الفنانة أمل القحطاني، إنها تأمل في أن يتعاضد دور وزارة الثقافة وهيئة التغذية البصرية في المملكة في نشر الأعمال الفنية السعودية داخل وخارجها، وأن تجد الأعمال التي تمثل المملكة التقدير والانتشار الذي يليق بها وبالمبدعين السعوديين، الذين يشعرون بالتفاوت في ظل ما منحته رؤية 2030 من دعم للمشهد التشكيلي بالبلاد.

وتضيف أن الأعمال الفنية السعودية والعربية، تجذب الإهتمام في الخارج، وأن الشعب الأميركي، على سبيل المثال، شعب مثقوب ومحب بجنون لكل شيء يأتي من المشرق، مؤكدة أن الفنانين في المملكة وفي كل الوطن العربي لديهم ملكات فنية، وأعمال تشكيلية قادرة على إبهار العالم.

وتشدد القحطاني على ضرورة وجود دار لعرض الأعمال التشكيلية بالمملكة تكون ملكيتها للدولة، وأن تقوم الدار بتسويق الأعمال مقابل حصولها على نسبة من حصيلتها، وتمنح الفنان حقه، وتضفي بذلك على معاناة الفنان الناتجة عن حاجته إلى تسويق أعماله.

يذكر أن الفنانة أمل القحطاني، عضو الجمعية السعودية للفنون التشكيلية "جسفت"، وعضو أيضا في جمعية الثقافة والفنون بالمملكة، وكانت أول مشاركة فنية لها في معرض تشكيلي قبل أكثر من ثلاثة عقود، وبعد ذلك توالى مشاركتها في المعارض الجماعية داخل المملكة وخارجها، إلى جانب معارضها الخاصة حتى اليوم.

وشاركت القحطاني في كبريات المعارض التشكيلية بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي تسعى لإطلاق منصة فنية لتحقيق أهداف رؤية 2030 وما حوته من رؤى للنهوض بالحركة التشكيلية على أرض المملكة وعرض وبيع الأعمال الفنية السعودية المنشأ.



أعمال متأثرة بالثقافة

حجاج سلامة

القاهرة - تقول الفنانة التشكيلية السعودية أمل القحطاني إن الحركة التشكيلية العربية أصبحت أكثر فراء، وإن التشكيليين العرب صاروا أكثر شهرة وانتشارا، وباتت لوحاتهم تدخل في تصاميم دور الأزياء العالمية.

وتضيف القحطاني، في مقابلة معها عبر الهاتف، أن الأعمال الفنية كانت تحمل قيمة عالية، وأكثر ثراء بما تحمله من رسائل ومعانٍ، وأن انتشار ما يسمى بالفن الرقمي أدى إلى "اختلاط الحابل بالنابل".

وتشدد الفنانة بموافقة السلطات السعودية على اقتناء المؤسسات الحكومية الأعمال الفنية والمنتجات الحرفية الوطنية في مقراتها، معتبرة أن ذلك يعد بمثابة دفعة كبيرة لكل فناني المملكة، وسيكون لهذه الخطوة أثرها الإيجابي السريع والواضح على المشهد التشكيلي السعودي بأكمله.

وردا على سؤال حول ما يُثار في الأوساط التشكيلية العربية من جدل حول ما يسمى بالفن النسوي والفن الذكوري، تقول القحطاني إنها في أغلب الأحيان، لا تستطيع أن تفرق بين أعمال الفنانين من الرجال والنساء، وأنه لا يوجد فن نسوي وآخر ذكوري، وأن المعيار في الجودة هو امتلاك الفنان لأدواته الفنية سواء كان رجلا أو امرأة، وقدرته على إيصال رسالته إلى المتلقي.

وحول رؤيتها لمكانة المرأة في الحركة التشكيلية العربية، تقول الفنانة إن أعداد النساء من الفنانات فاقت أعداد الرجال، وإن المرأة العربية بوجه عام، والسعودية بوجه خاص، شقت طريقها ببطئها وإحساسها، وقد صارت شريكة للرجل في النجاح وباتت تنافسه أيضا.

وحول موضوعات أعمالها الفنية، تقول إنها تأثرت كثيرا بالبيئة والتراث العربي، وأن الكثير من أعمالها مستوحاة من تلك البيئة وذلك التراث الغني بمفرداته التشكيلية. وتضيف أنها حين أصابها عارض صحي، بدأت تتناول في أعمالها موضوعات أخرى إلى جانب البيئة والتراث العربي، مثل مفاهيم الحياة والقيم الإنسانية والرجل ودوره في الأسرة والمجتمع.

وحول حضور الرجل والمرأة بأعمالها، تقول القحطاني إن "الفن الصالح يلزمنا بتناول الرجل في الأعمال الفنية كون الرجل هو الأب والأخ والزوج والابن والجار والقرين"، مشيرة إلى أن تجسيد الرجل في الأعمال الفنية، لا يكون في صورة الملاك على الدوام، وقد يكون أحيانا مصدرا لخيبات الأمل.

وتوضح القحطاني أن المرأة تعيش بحسب تكوينها مشاعر وهمسات وسكنات وصراعات وتقلبات متعددة، جعلت منها مادة خصبة في خيال الفنانين، لافتة إلى أن المرأة لها نصيب وافر في أعمالها الفنية، وأنها بحكم كونها امرأة، فهي أكثر فهما للمرأة وأكثر إحساسا بهمومها أكثر من الفنان الرجل.

وحول ما تواجهه الحركة التشكيلية العربية، من عوائق ومشكلات، تقول "إن من بين تلك المشكلات، الوساطة والمحسوبية، التي تسيطر في الكثير من الأحيان على اختيار المشاركين بالمعارض والمقتنيات الفنية العربية".

وتضيف أنه بات على الفنان أن يعتمد على جهده الشخصي لتحقيق الانتشار، مطالبة بأن تكون هناك آليات وقواعد ثابتة تحكم عملية اختيار المشاركين في فعالية تشكيلية.

وحاول الترويج للكتاب بأن كتب مقالا منتقدا ومستنكرا ضد الكتاب مطالبا بمصادرته، واتفق مع أحد الأصدقاء أن ينشر المقال باسمه في صحيفة "منبر الشرق" تحت عنوان "كتاب أثيرم لعالم ضال"، ليقرر الأثر التدخل بالفعل ويصادر الكتاب، ما جعله الأكثر رواجاً بين مؤلفات الرجل.

بالمنطق ذاته، يلجأ بعض الروائيين إلى ادعاء حظر رواياتهم كنوع من الدعاية المباشرة لها، مثلما فعل الروائي المصري علاء الأسواني عندما ذكر فور إصداره رواية "جمهورية كان" أن السلطات المصرية حظرت روايته، بينما لم يصدر قرار رسمي بذلك من أي جهة.

حظر الروايات أفضل وسيلة للترويج الأدبي

في زمن الثورات التكنولوجية لا يزال الكتاب ممنوعا عربيا



منع الكتب محاولة لدفنها

الوسطى برفع دعوى قضائية يتهم فيها كتابا بأنه يتضمن محتوى أخلاقيا أو سياسيا غير لائق، ويطلب منع ومصادرة الكتاب وإدانة صاحبه".

ويضرب مثلا بما حدث في الصين قبل سنوات عندما صدرت رواية بعنوان "طفلة شنغهاي" للكاتبة الصينية "وي هوي"، وشارت السلطات الرسمية، وقامت بحرق 40 ألف نسخة من الرواية، على أساس أنها رواية وضعية، تطلع سعة الصين.

ويعلق متسائلا هل يمكن لرواية مهما كانت أن تطلع سمعة بلد بأكمله؟ لعل تصرف السلطات في بكين كان كفيلا بصناعة شهرة مهولة للرواية، وتصاعدت الأجواء التي أعادت إلى الأذهان ما حدث مع "آيات شيطانية" للبنغالية تسليمة نسرين، و"تلك الرائحة" لصنع الله إبراهيم، والقائمة تطول.

وفي النهاية مهما يتغير السياق الزمني والمكاني والتاريخي والسياقي، فالسلطة تبقى كما هي لا تتغير، والحرق والمنع والمصادرة، من الأفعال التي تؤدي إلى المزيد من انتشار العمل ولفت الانتظار إليه، وتحويله أحيانا إلى وسيلة دعائية مضادة للنظام، ويزداد الأمر تعقيدا عندما يشمل هذا المنع الغث والسمين.

وقد يلجأ أصحاب بعض الأعمال أنفسهم إلى استقراض السلطات ضددهم للحصول على قرار مصادرة كنوع من الدعاية لكتبهم، وسبق أن حكى الكاتب الراحل خالد محمد خالد، في كتاب سيرته الذي حمل عنوان "قصتي مع الحياة" أنه نشر كتابا في القاهرة عام 1950 بعنوان "من هنا نبدأ"، وحمل تصورا حول المؤسسة الدينية وسلطتها، ولم يكن يعرفه أحد.

وحاول الترويج للكتاب بأن كتب مقالا منتقدا ومستنكرا ضد الكتاب مطالبا بمصادرته، واتفق مع أحد الأصدقاء أن ينشر المقال باسمه في صحيفة "منبر الشرق" تحت عنوان "كتاب أثيرم لعالم ضال"، ليقرر الأثر التدخل بالفعل ويصادر الكتاب، ما جعله الأكثر رواجاً بين مؤلفات الرجل.

بالمنطق ذاته، يلجأ بعض الروائيين إلى ادعاء حظر رواياتهم كنوع من الدعاية المباشرة لها، مثلما فعل الروائي المصري علاء الأسواني عندما ذكر فور إصداره رواية "جمهورية كان" أن السلطات المصرية حظرت روايته، بينما لم يصدر قرار رسمي بذلك من أي جهة.

ويقول لـ"العرب" إن عقل الرقابة في العالم العربي ما زال يعيش في الزمن الماضي، ولا يقبل بالانفتاح الفضائي وليد الديمقراطية، ولا يعترف بالمنصات الإلكترونية المعنية بالنتشر.

حظر روايات ما لأسباب سياسية يؤدي إلى صعود مبدعين مزيفين، وانتشار أعمال روائية ركيكة فنيا نتيجة زيادة شغف الجمهور بها كنتيجة مباشرة لقرارات المصادرة، مع ذلك فالذائقة الفنية لا تتأثر بعوامل إعلانية أو دعائية، سلبية أو إيجابية، فالبقاء في تاريخ الأدب للأكثر صدقا.

وهناك نوع آخر من المصادرات تُدفع إليه بعض السلطات تحت ضغط المجتمع من خلال تطوع البعض بالضغوط الإعلامي أو القضائي لحظر كتاب ما، بدعاوى أخلاقية أو دينية.

**بعض الروائيين يلجأون
إلى استفزاز السلطات
ضدهم للحصول على قرار
مصادرة كنوع من الدعاية
لكتبهم**

ويلفت الناقد إيهاب الملا، إلى أن هناك تاريخا من المواجهات بين المتسككين بحرية الرأي والتعبير وبين فعل المصادرة والمنع والمحكمة تحت دعاوى أخلاقية أو دينية أو سياسية أو مجتمعية.

ويذكر لـ"العرب"، أن هذا اللون من القضايا لا يكاد يتوقف في تاريخنا المعاصر، فالباحثون عن الشهرة والمهوسون بفرض أفكارهم الدينية والسياسية قسرا وعنوة ما زالوا يفكرون تحت الرماد، ويتحينون فرصة تلوح بوقوع نص أدبي تحت أيديهم مصادفة، أو حتى بإيعاز من معرض مريض النفس، لتبرق الأعين ويسيل اللعاب فيسارعون بتقديم بلاغات للنياحة العامة أو رفع دعوى قضائية مباشرة أمام المحاكم العنوان، الذي يوحى بقيم خارجة عن المجتمع.

ويوضح الروائي المصري روبري الفارس، أن مصادرة الأعمال الأدبية هو نوع من إعلان الوجود، وكان الحكومة تريد أن تقول ما زلت موجودة ولي هيبه وسطوة، أغلق وأمنع، وما زلت أمارس دوري الرقابي التسلطي.

لم يعد هناك كتاب قابل للحظر بقرار فوقي، مثلما كان يحدث في الماضي، لأن ثورة التكنولوجيا أتاحت عرض الكتب عبر فضاءات مفتوحة بمجرد ضغط زر، مع ذلك ما زالت بعض الجهات الرقابية الرسمية في عدد من الدول العربية تحظر تداول روايات بعينها لأسباب سياسية أو دينية أو مجتمعية.

في بعض الأحيان إلى كل شيء، بدءا من الدين والموروث الثقافي والاجتماعي والعلاقات الجنسية وحتى الترويج لأفكار قد تكون غير مقبولة في المجتمع.

وتضيف عاصي، "كل ما يريد المجتمع الترسيم له بدعم وبيئته، وكل ما لا يتوافق مع المنظومة العامة، اجتماعيا وسياسيا وأخلاقيا، يُحجب أو يُهمش أو يتم تجاهله، وفي الحالات القصوى يحظر".

ويوضح الروائي السوداني حامد الناظر، أن الكثير من الحكومات العربية لا تزال أبوية المزاج، وتعتقد أنها وصية على الأفراد وخياراتهم في الاطلاع واعتناق الأفكار، فتقرأ هي بالإنابة عنهم، وتحجب ما يخالف توجهاتها.

يؤكد الناظر، لـ"العرب"، أن استمرار الرقابة على الأدب والكتب عموما في العالم العربي لا معنى له سوى أن بعض الحكومات تملك وظائف موروثية، وأموالاً فائضة ترغب في منحها لهؤلاء الموظفين الذين يعملون في الرقابة على الكتب.

ويشير إلى أن مصطلح الشعب الأعمى لم يعد موجودا في عالم اليوم مع هذه الفضائيات المفتوحة، وليس بوسع دولة إغلاق أبوابها تماما والبقاء في عزلة، فمفهوم السيادة نفسه وتغير المعرفة الحققة نسفت الحواجز الحقيقية والمتوهمة.

وتعرضت كتب الناظر للحظر قبل سنوات، حيث منعت إدارة معرض الكتاب في الكويت روايته "الطاووس الأسود"، مع أنها تدور في عوالم سودانية محلية، وكانت الرقابة وقتها تتصور أن وجود واقع اجتماعي مغاير يمثل إفسادا للمجتمع، وتم في المعرض نفسه منع عشرات الروايات العالمية دون قراءتها كإجراء احترازي ضد العنوان، الذي يوحى بقيم خارجة عن المجتمع.

عقل ماضي

يوضح الروائي المصري روبري الفارس، أن مصادرة الأعمال الأدبية هو نوع من إعلان الوجود، وكان الحكومة تريد أن تقول ما زلت موجودة ولي هيبه وسطوة، أغلق وأمنع، وما زلت أمارس دوري الرقابي التسلطي.

مصطفى عبيد
كاتب مصري



بات حظر الروايات في العالم العربي إحدى الوسائل الناجحة للترويج لها، ما ساهم في انتشار الكثير من الأعمال الركيكة فنيا تحت لافتة فضفاضة كونها روايات ممنوعة.

يرى البعض من النقاد أن التجارب العملية أثبتت أن إعدام الروايات أو حظرها، وكأنها لم تكتب، أمر يشبه مستحيل، حتى قبل تطور التكنولوجيا الحديثة وإمكانية عرض أي كتاب على الناس عبر شبكة الإنترنت.

يسهم المنع بصورة واضحة في لفت الانتظار للعمل المحظور والترويج له، فكما يقول الشاعر الراحل نزار قباني "أنا ممنوع في كل مكان، إذن أنا موجود في كل مكان".

تصرف روتيني

تؤكد الروائية المصرية ضحى عاصي، أنه رغم قيام الحكومات في الماضي بحظر بعض الأعمال الأدبية، لأنها تخوض في أمور مرفوضة على المستوى السياسي، إلا أن ذلك الحظر سقط عمليا أمام رغبات الناس، من جمهور الأدب وحتى من العامة، في التعرف على محتوى ما حظرته السلطات.

وتقول لـ"العرب"، إن ذلك حدث مثلا في رواية "أرباب" الروسية التي نشرت بعد وفاة الزعيم السوفييتي ستالين وتناولت جرائمه، فقد منعت بقرار من الحزب الشيوعي، لكنها تسربت بعد قليل عبر التصوير الزينوغرافي الشائع في ذلك الوقت، وتبادلها العامة وأصبحت من أكثر الروايات رواجاً.

وتسرى أن امتداد الحظر الحكومي للروايات في زمن السماوات المفتوحة تصرف لوجيستي روتيني، يعبر عن إعلان الحدود المسموح بها، والمناطق المحظورة في التناول، ولا يتعلق الأمر بالنص المكتوب الذي سيطع عليه الناس عاجلا أم آجلا، بقدر ما يتعلق باستخدام المنع والحظر كرسالة إلى المجتمع بأكمله.

ويتجاوز الأمر الكتابات التي تتناول الأنظمة السياسية، ويمتد